★كيفية تفسير صفات الأعيان والدليل العقلي على وجوبها★

د.أحمد الشامي

يناقش هذا المقال:

1- يجب عقلاً أن تتعدد صفات الأعيان في ذات الله
2- هل تحويل الصفات لمجاز هو الصواب؟
3- هل أفراغ الصفات من معناها هو الصواب؟
4- ما معنى يضحك ربنا، وما معنى لله يد.
5- لماذا لا تقولون أن لله عضلات تليق بجلاله ؟
6- لماذا لا تقولون له ذيل يليق به.
7- هل صفات الأعيان هي أجزاء؟ هل تقولون أن ربكم مجزءاً مركباً؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على منّهِ وإفضاله، وصلاة وسلاماً عليه وصحبه وآله، وبعد.

صفات الأعيان هي تلك الألفاظ التي ألحقت بالله تعالى مما يمكننا أن نراها يوم القيامة (كالوجه واليد) لو شاء سبحانه.

فالمخالفون قسمان:

(1)القسم الأول المُمَجِّزَةُ اللا مُطَبِّقة:

هذا يحرف الصفات ، بحيث يحول اللفظة إلى مجاز رغم أن السياق لا يجيز تحويلها لمجاز لغوياً ، بحجة أنها جاءت مجازاً في سياقات كثيرة مرات كثيرة، والصواب أن العبرة بالسياق نفسه لا بالسياقات الأخرى، فكلمة ركبة استعملت في العبارتين التاليتين (ركبي بتخبط في بعضها؛ ركبي بتوجعني) ولم يخلط المصري قط بين المعنى المفهوم من العبارتين لمجرد أن كلمة ركبة تكررت في العبارتين ، فلم يقل أن الثانية مجاز لمجرد أن الأولى مجاز. كذا اليد إن جاءت مجازاً في سياق فلا تكون مجازاً إلا في سياقٍ هو أخوه. للمزيد بخصوص قواعد تضبط تحويل الصفات لمجاز يرجى مراجعة مقال (قواعد عقلية في التعامل مع صفات الله تعالى) هنا

ثم بعدما يحولها لمجاز رغماً عن أنف اللغة ، نقول له هيا قم بالتطبيق العملي واشرح النص، تجده يرفض تطبيق المعنى على النص.

لنطبق عملياً:

حديث صححه 21 محقق وفيه:

]فَقَالَ اللَّهُ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ[

إذا كانت اليد بمعنى القدرة أو النعمة ، فكيف يمكنكم فهم هذا الحديث؟

سيصبح معناه:

]فَقَالَ اللَّهُ لَهُ وقدرتاه مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّ القدرتين شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ قدرة ربي اليمين رَبِّي وَكِلْتَا

قدرتي رَبِّي قدرة مُبَارَكَةٌ ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ!!!]

إن مَجَّز لم يطبق خجلاً.

ومن هذا القسم أغلب الاشاعرة ، ومنه النصارى ! الذين يقولون أن الله له جسد حقيقي كجسدنا ، جسد الكلمة، وليس مجرد حلول أو التصاق، هؤلاء ينفون الجسمية عن الله !!

كيف نفوها؟ بالتحويل لمجاز بغض النظر عن اللغة ، يقول علامة النصارى أوريجانوس:

"كما نقول فيما يتعلق بكل ما هو جسدي يُذكر عن الله، كالأصابع، أو اليدين، أو الذراعين، أو العينين، أو القدمين، أو الفم، إن هذه لا تُفهم على أنها أعضاء بشرية، بل إن أسماء أعضاء الجسد هذه تشير لبعض قدراته".

"That as with respect to everything corporeal which is spoken of God, such as fingers, or hands, or arms, or eyes, or feet, or mouth, we say that these are not to be understood as human members, but that certain of His powers are indicated by these names of members of the body."

ANF04. Fathers of the Third Century: Tertullian, Part Fourth; Minucius Felix; Commodian; Origen, Parts First and Second, Origen De Principiis., Book II. Chapter VIII.—On the Soul (Anima). [4.]

(2)القسم الثاني يفرغ اللفظة من معناها كلياً، ولا يثبت لها أياً من لوازمها قط، ثم يقول لا أدري ما معناها ، فكما أننا لا نعرف معنى كلمة (برررررم) فنحن لا نعرف معنى كلمة (يد!(

هيا بنا نطبق، بناءاً على مذهب المعطلة المفوضة يصبح الحديث السابق معناه كالتالي:

]فَقَالَ اللَّهُ لَهُ وبررماه مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّ البرررمين شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ بررررم ربي اليمين رَبِّي وَكِلْتَا بررمتي رَبِّي بررررم مُبَارَكَةٌ ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ!!![

كلمة (بررم) قبيحة جداًولا تليق برسول الله وفيها استهانة بنفس القدر الذي بفكرة (لا نعلم ما الذي يقوله الله ورسوله) ، هي بنفس هذا القدر، كيف لعاقل أن يتكلم بكلام لا يفهمه الذين يسمعونه ؟!! أليس تنزه الله عن كلمة (برررم)؟ فكيف قبلت منه كلمة هي اخت بررم بل أقبح كاليد الفارغة من المعنى ؟

لنطبق على حديث (الضحك:(

]عَنْ عَائِشَةَ، رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " إِنَّ اللَّهَ عز وجل لَيَضْحَكُ مِنْ إِيَاسَةِ الْعِبَادِ وَقُنُوطِهِمْ، وَقُرْبِهِ مِنْهُمْ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَوَ يَضْحَكُ رَبُّنَا؟ قَالَ: أَيْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيَضْحَكُ، قَالَ: فَقُلْتُ إِذًا لَا يَعْدِمُنَا مِنْهُ خَيْرًا إِذَا ضَحِكَ["

معنى يضحك أو أي فعل آخر من إجمالي 300 فعل في القرآن السنة منسوبة لله عز وجل هي عند الاشاعرة هي بمعنى (يرد أو يخلق) إلا افعالاً يسيرة.

فمثلاً الله يحب؟ معناها عند الاشاعرة يريد كذا أو يخلق كذا.
الله يغضب؟ معناها عندهم يريد كذا أو يخلق كذا.
لك أن تتخيل كم فعل تم تحريفها ، عشرات العشرات من أفعال الله كلها عندهم ليس لها إلا معنيان (خلق أو اراد)!!
فهل الضحك في لغة العرب أو العجم معناه الإرادة أو الخلق؟ في أي لغة هذا ؟ !!هذا هو عين التحريف.

وبالنسبة للمعطلة المفوضة يصبح معنى الحديث كالتالي:

]عَنْ عَائِشَةَ، رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " إِنَّ اللَّهَ عز وجل لبررررررم مِنْ إِيَاسَةِ الْعِبَادِ وَقُنُوطِهِمْ، وَقُرْبِهِ مِنْهُمْ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَوَ برررررررم رَبُّنَا؟ قَالَ: أَيْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لبرررررررررم، قَالَ: فَقُلْتُ إِذًا لَا يَعْدِمُنَا مِنْهُ خَيْرًا إِذَا يبرررررررم["

نسبوا لرسول الله أن يتكلم كلام هو لا يفهمه والعياذ بالله ، وجعلوا أم المؤمنين تستفهم عن وقوع شئ لا تفهمه دون أن تستفهم عن معناه أصلا !! ثم يقسم النبي على وقوع البررررررم الذي هو لا يفهمه ، فتفرح ام المؤمنين وتستبشر خيراً بسبب البرررم!!

فما هو الصواب؟

لله عز وجل يدٌ ووجهٌ (صفات أعيان) ؛ اليد في اللغة ليست هي القدرة؛ وإنما هي القدرة في بعض السياقات المجازية؛ واللفظ يفهم بمعناه الحقيقي ما لم ترد قرينة لغوية تحمله على المجاز.

فكيف نفهم معنى اليد؟

ونفس الأمر حديث (يضحك ربنا) ما معنى يضحك ؟

ستقوم بمعرفة معناها بناءاً على 5 خطوات:

(1)الأولى :أن تعرف أن تعريف صفات الأعيان الإلهية لا يكون بالحد الجامع المانع ،وإنما بالقدر المشترك بين اللغة والشرع،سواء جَمَعَ ومَنَع أم لا.

ولمن لا يعرف معنى الجمع والمنع، ما هو التلفاز؟ لو قلت هو جهاز كهربائي فأنت لم تجمع جميع خصائص التلفاز، ولم تمنع عقولنا من تصور الثلاجة فهي أيضاً جهاز كهربائي، فالجمع أن تذكر جميع خصائص الشئ والمنع أن تذكر خصائصه التي تميزه عن غيره.

(2)الثانية : أن تعرف أن التعريف بالجمع والمنع في حق صفات الأعيان الإلهية حرامٌ عقلاً؛ لأن الجامع المانع يجب أن يكون ملماً بكل خصائص الشئ ؛ وقد أوجب العقل أن يكون الإله مخالفاً في صفاته لسلسلة المخلوقات وإلا لم يكن علة تامةً مانعة لتسلسل العلل إذ سيكون مثلهم فلماذا افتقروا لموجِد ولم يفتقر والعقل لا يفرق بين مثلين ؟دل على وجوب أن يخالفهم في صفاته، دل على استحاله أن تحيط بها لتتمكن من جمعها ومنع دخول غيرها معها.

فهو حرامٌ عقلاً.

ثم هو حرام شرعاً، أليس بلغك أنهم لا يحيطون بشئ من علمه فضلاً عن ان يحيطوا به علماً؟

(3)أن تُفصل خصائص اللفظة في اللغة، فالضحك في اللغة يتضمن الخصائص التالية:

-فعل بالوجه؛ ألست تعلم أنه ليس بالقدم ؟

-تنبسط به اسارير (عضلات) الوجه.

-مصحوباً بفعل بالصوت وهو القهقهة.

-مصحوباً بالفرح والسرور.

(4)أن تُفصل خصائص اللفظة التي ورد لها في حق الله نظيرٌ في الشرع-:

-فعل بالوجه : هل ثبت في الشرع أن الله يفعل وأنه له وجه ؟ نعم؛ إذن سنقبل هذه الخاصية أثناء التعريف.

-تنبسط به الأسارير التي هي العضلات؛ هل وردت العضلات والاسارير في الشرع ؟ لا ، إذن سنرفضها (سأجيب على" لا تستقبحون إلا بالنص ؟ وأين العقل " لا حقاً.(

-مصحوباً بفعلٍ بالصوت ؛ هل ورد أن الله له صوت في الشرع ؟ نعم ؛ إذن سنقبلها ونضمها للتعريف النهائي.

-القهقهة ، هل وردت في الشرع ؟ لا إذن سنرفضها.

-الفرح، هل ورد في الشرع أن الله يفرح؟ نعم، إذن سنقبلها.

(5)أن تجمع الخصائص المقبولة وتصيغها في جملة ، فتقول (ضحك الله : هو فعلٌ بالوجه والصوت عند الفرح.(

كما ترى ، فإن لهذا التعريف سمتان:

-الأولى أنه ليس بجامعٍ ولا بمانع ، لحرمة الجمع والمنع في صفات الله عقلاً وشرعاً.

-الثانية أنه ببعض لوازم الصفة والتي اشتركت فيها اللغة والشرع.

★هل هذا تجسيم ؟

-ماذا تقصد بجسم ؟ اللحم والدم ؟ يمكننا تصور ذو يدٍ وهو ليس بلحم ودم.
-سيقول : لا بل أقصد أنه يقتضي أن الله ابعاض.
وقتها أقول : تريد النقاش عقلاً ؟ إذن لا بأس لكن بشرطين:

الأول : عدم الحشللة.
الثانية: عدم الكفيجة.

الحشللة، يحرم في محضر الإله عقل أن تقول حاشا لله ، فهذا شرك بالعقل وردة عن الإله عقل، اقبل ما يقوله الرب عقل ولو أغضب الرب الثاني ذلك الذي هو رب إبراهيم واسمه الله.

الكفيجة، أن تتوقف اثناء الحوار وتقول " يكفيني منك أنك حقت كذا"، لا ، فذا إيمان ببعض كتاب الإله عقل وكفرٌ ببعض، اترك الرب عقل يوحي بكل كلامه للأخير، ولا ترفض بعض كلامه وتعارض البعض الآخر.

الآن ليبدأ الحوار-:

-المحمدي : سلمنا جدلاً بأن الله ابعاض ، فكان ماذا ؟
-الأرسطي: يستلزم التركيب والافتقار، إذ يكون كلٌ بعضٍ مفتقر للثاني لإيجاد الكل.
-المحمدي: يقع الفعل في زمن أم في غيره ؟

-الأرسطي: في غير زمن.

-المحمدي: هل تعلم في الحس فعلاً بلا نقطة بداية ؟ وهل يمكنك تصور فعلاً في الذهن بلا نقطة بداية ؟

-جوانيُّ الأرسطي لا لسانه : لا.

-المحمدي : أليس النقيضان لا يجتمعان قط؟ سواء في الحس أو المخيلة ؟

-الأرسطي: بلى.

-المحمدي: فهذان نقيضان (فعل؛ في غير زمن) إذ لم يجتمعا قط لا في الرأس ولا خارجها ، فأين اجتمعا فيزول التناقض؟

-جوانيُّ الأرسطي لا لسانه: سلمنا، فكان ماذا؟

-المحمدي: كان أن الافتقار لا يقع إلا وهو فعل، والفعل لا يقع إلا في زمن ، وأزلية هذه الأبعاض تنفي الزمن ، فكيف تقول (تركَّب الله، أو افتقرت أجزاء الله لبعضها) ولا زمن يبدأ فيه التركب والافتقار؟

هذه الأولى.

الثانية:

-الأرسطي: إذن ربك أبعاض؟

-المحمدي: لا بل أعيان.

-الأرسطي: وما الفارق؟

-المحمدي: الأبعاض لحم ودم وآلة ، والأعيان ليس كذلك، ووجه الاشتراك بينهما أن كليهما قابلٌ للمعاينة ووجوده حقيقي ، فيمكنك أن ترى وجه الله لو شاء لك يوم القيامة.

★دليلان على وجوب صفات الأعيان★

(1)الأول

-المحمدي: هل تعلم موجوداً في الحس ليس مبعضاً؟
-الأرسطي : الحركة والعلم.
-المحمدي: العلم له وجود حقيقي ؟ ومفهوم الحركة له وجود حقيقي خارج الذهن؟
-جوانيُّ الأرسطي لا لسانه : صدقت، أردت التشغيب لا أكثر. لكن سأعطيك شيئاً آخر وهو " طرف الحبل."
-المحمدي: لطرف الحبل فوق وتحت ويمين ويسار، وهذه أبعاض.
-الأرسطي: إذن الجوهر الفرد.
-المحمدي: وما الجوهر الفرد؟
-الأرسطي: أصغر وحدة بناءٍ للكائن الموجود ، بحيث لا يوجد أصغر منها.
-المحمدي: لنفترض جدلاً أنها الكواركات quarks التي هي أصغر وحدة بناء معروفة حتى الآن للكائن ، هذه الكواركات لها أعلى واسفل ويمين ويسار، فسواء تمكنت من فصل هذه الأجزاء عن بعضها أو عجزت ففي النهاية هي أجزاء.
-الأرسطي: إذن الزمان.
-المحمدي: لا يوجد شئ اختلف البشر في معناه أكثر من الزمان، فأنا قلت لك " هل تعلم" اي تعلم شيئاً غير محل نزاع بين البشر ، فالبشر متنازعون في ماهية تعريفه اختلافاً ضخماً.
-جوانيُّ الأرسطي لا لسانه : صدقت، وأنا انقطعت، ثم ماذا؟

-هل يمكنك تخيل موجوداً غير مجزأ ومبعض في ذهنك؟ حتى ولو كان نقطة صغيرة فإن لها أعلى واسفل ويمين ويسار.

-جوانيٌّ الأرسطي لا لسانه : صدقت، وأنا انقطعت، ثم ماذا؟

-المحمدي: إذن التبعيض شرط الوجود، والتبعيض فارق بين الوجود والعدم ، لا فارق بين المخلوف والخالق، فلو قلت بأن الإله موجود ثم هو غير مبعض تكون قد قلت هو موجودٌ وليس بموجود.

-الأرسطي: إذن ربك مبعض؟

-المحمدي: ألست سمعت رجلاً قال لك منذ دقائق أنه ليس ليس بمبعضٍ بل له أعيان؟ وذكر لك وجه الاشترام ووجه الفارق؟ قد كنت أنا هذا الرجل.

ومن ثم فالوجود مع اللامبعضية هما نقيضان لا يجتمعان قط، هل رأيتهما اجتمعا في شخصٍ حساً أو خيالاً؟

-الأرسطي: الله لا يمكن رصده ولا يمكن تخيله فهل هو تناقض؟ لأنني أرى أن تعريف المتناقض عندك هو ذلك الذي لا يمكن رصده ولا تصوره.

-المحمدي: يمكن رصد(رؤية) الله لكن يوم القيامة، بخلاف التناقض فلن يرى ابداً لا اليوم ولا في الآخرة، لأنه عدم، فاستقر أن المتناقضين لن ترصدهما مجتمعين في مكان قط، لا في الحس ولا في الخيال، أين اجتمع موجود وجوداً حقيقياًوغير مبعض؟

إذن يجب أن تكون لله صفات أعيانٍ لأنها شرط الوجود.

-الأرسطي: الله يخالف ما نعرفه.

-المحمدي: إن كنت تقصد من هذه العبارة إجازة اجتماع النقيضين فأنت ترمي بأهم الضرورات العقلية في سلة القمامة، بحيث تكون قد رميت العقل نفسه، فالعقل لا يجد نفسه قادراً على التفكير ضرورة إلا بهذا المبدأ.

لورفضنا مبدأ استحالة اجتماع النقيضين بعلة فوقية الله عن شأننا فيمكن لكل صاحب باطلٍ أن يبرر

باطله، يمكن للآريوسي أن يقول : اقنوم الابن مخلوق لكنه إله، فإن قلنا له كيف والمخلوق مفتقر، قال : خلق بلا افتقار، وهو فوق العقل ؛ وهكذا كل أصحاب الباطل....

(2)الثاني:

-المحمدي: صفة البصر وجودها حقيقي أم اعتباري ذهني ؟ [هل يوجد كائن حقيقي اسمه الأستاذ بصر، أم هي فكرة في ذهننا[

-الأرسطي : بل ذهني اعتباري.

-المحمدي : سبب البصر شئ حقيقي أم اعتباري؟

-الأرسطي: اعتباري ذهني.

-المحمدي: إذن ليس هناك بصر، لأن وجوده معنوي، وسببه أيضاً معنوي!

-الأرسطي: سلمت بأن سبب صفة البصر شئ حقيقي، لكنه يبصر بصراً هو ذاته، ويسمع سمعاً هو ذاته.

-المحمدي: تقصد أن سمع الله هو ذات الله؟

-الأرسطي: نعم.

-المحمدي: إن كان سمع الله هو الله وبصر الله ونطق الله هو الله إذن السمع هو البصر هو النطق! إن كانت الصفة هي الذات يصبح الجزء هو الكل ويصبح الوجود المعنوي هو وجود حقيقي، ويصبح المضاف هو نفسه المضاف إليه (سمع الله هو الله = الله الله) ؛ وتجوز البدلية ؛ إذ يصح أن نقول بأن الله سمع ، تصبح انت عبد السمع ! ويصبح أن لو قد نفينا السمع عنه فلما كان موجوداً فيصبح الاشخاص الصُّمُّ غير موجودين!

-الأرسطي: فما البديل؟

-المحمدي: أن السمع غير البصر مفهوماً ، وغيره سبباً، فيصبح للإبصار سبب أخبرنا به الشرع وهو العين، وللسمع سبب آخر غير العين ولكن لم يخبرنا به الشرع؛ وهذا يوجب صفات الأعيان عقلاً.

★ من فسر الضحك من السلف بما فسرتموه به؟

الجواب: منذ متى والسلف يتكلمون في الصفات أصلاً إلا اضطراراً؟

كم عدد صفات الله أعني صفات الأعيان التي تكلموا فيها ؟ تعد على اصابع اليد الواحدة، فهم كانوا يرون الأصل هو حرمة المماراة والتنازع في صفات الله وأن نفهمها كما طرأت في قلوب عامة المسلمين ، وإنما تكلموا في اليد وصفة الكلام وصفة العلو لكون الجهمية في زمنهم أكثر من الكلام في هذه بعينها ، لذا فليس سبب عدم تفسيرهم للضحك هو أحموقة أن الله أرسل رسولاً يتكلم بما لا يفهمه هو ولا يفهمه مخالفوه فسكتوا لكونهم لم يفهموا معنى الضحك، وإنما السبب هو أنهم قليلو الكلام في صفات الله عز وجل التي من هذا النوع.

★ إلزام "ابلع كليهما معاً."

للأرسطي أن يقول : ماذا لا تقولون لله عضلات وجهٍ تليق بجلاله ؟ أليست هي من لوازم الضحك؟

أقول : لماذا لا تقولون بأن الله جسم وأبعاض؟ أليس هذا من لوزام الوجود؟

هل تعلم حياً ليس بأبعاض؟

هل تتصور في الذهن حياً ليس بأبعاض؟

فأول ردنا هو أن (ابلع) ، كما بلعت ذاك التناقض فابلع هذا أيضاً، كما قلت أن كل موجودٍ في الحس والذهن هو ابعاض إلا الموجود الأول، كذا قل كل ضاحكٍ له عضلاتٌ في وجه إلا الضاحك الأول .

فالتبيعض والجسمية ليس سببه أن لله وجه ويد لو كان الله ابعاضاً، وإنما سببه هو انه موجود ، فليس في الذهن ولا في الحس موصوف ألا وهو أبعاض، ورغم ذلك بلعت هذا التناقض، فابلعه في حالة الضحك ايضاً.

أما نحن فنقول ولا نبلع :

- ليست كل لوازم الصفة بلازمة لنا في التعريف، بل يلزمنا منها فقط ما اشترك لغة وشرعاً.
- العضلات داخلة في كيفية الضحك لا في أصل ماهية معناه، فيجوز الجهل بالكيفية ولا يسمى تفويضاً كالمقيت الذي رفضناه والذي هو عند المفوضة في أصل معنى اللفطة، حيث يفرغونها من اية لوازم.
- القدر المشترك لا يلزم الاشتراك المطلق، فاشتراك ضحكنا وضحكه في اللوازم الأربعة التي ذكرتها أعلاه لا يلزم منها ضرورة اشتراكنا معه في الباقي، القدر المشترك شرط الوجود.
- التشبيه في حق الله تشبيهان :

(1) تشبيه واجبٌ عقلاً (2) تشبيه حرامٌ عقلاً.

أما التشبيه الواجب هو ذلك الذي لا يكون الله موجوداً ولا واجباً إلا به، بحيث لو نفيناه لقلنا ليس هاهنا إله موجود أصلاً، أو لو وجد فلما كان علة تامة مانعة للتسلسل.

مثال (الوجود) : انت موجود وهو موجود، أليس هذا تشابه ؟ أليس هذا بقدر مشترك؟ أليس هذا بنوع من المماثلة ؟ ثم وجودك يختلف عن وجوده ، وإنما يشابهه فقط في أصل المعنى الدلة عليه لفظة الوجود، وإلا فلو قلنا يختلف وجوده عن وجودنا في كل شئ بلا تشابهٍ ولو بمقدار شعرة فكأننا قلنا هو موجود وليس بموجود، إذ ما هو ذلك الشئ الذي لا يتشارك مع تعريف الوجود في أي شئ ولو مقدار شعرة إلا الشئ الذي هو غير الوجود كالسبانخ مثلا ؟

هو عليم وانت عليم، هذا تشابه وقدر مشترك، ولكن علمك ليس كعلمه من كل جهة، بل من بعض الجهات فقط ألا وهي أصل مفهوم معنى اللفطة، وإلا لو خالف علمه علمنا من كل الجهات بحيث لم يعد يشبه علمنا في شعرة، وقتها كأننا نفينا عنه العلم، إذ ما هو ذلك الشئ الذي لا يشبه معنى لفظة العلم في شعرة إلا الشئ الذي هو غير العلم كالسبانخ؟

هل تعلم موجوداً لا يشبه الموجودات من أي جهة ؟

هل يمكنك تصور موجوداً لا يشبه الموجودات من أي جهة ؟

الوجود نفسه هو وجه تشابه.

هل يمكنك وصف الله بصفة ثبوتية ليس لها اصلٌ في مخلوقاته ؟

هل يمكنك انتزاع معنى أي معنى إلا من صورة مخلوقة ؟

ولذا فالقدر المشترك هو فيصلٌ بين الوجود والعدم فهو شرط للوجود وللوصف، وليس فيصلاً بين الخالق والمخلوق.

لن يثبت أي معنى إلا بقدر مشترك بين المخلوق والخالق، جرب بنفسك وسترى، وكلامي عن المعاني الثبوتية لا السلوب .

هل يمكنك أن تصف الله بشئ ليس عندنا نحن المخلوقات ؟ جرب بنفسك ، لن تجد قط، وإنما يخالفنا الله في أمورٍ غير أصل معنى الصفة، فلي علم وله علم، ويختلف العلمان،

ولي وجه وله وجهٌ ويختلف والوجهان، هذا قدر حصل به الاشتراك و قدر حصل به الافتراق.

لذا فحين قال(ليس كمثله شئ) قال بعدها (وهو السميع البصير) لتعلم أنه ما قصد نفي مطلق المماثلة، وإنما قصد المماثلة المطلقة، أي ليس كمثله شئ مماثلة مطلقة من كل وجه، وإنما تماثله الاشياء من بعض الوجوه فقط، فهو سميع وأنت سميع، تشابهنا معه في أصل معنى اللفظة، لكن سمعك ليس كسمعه، ولا علمك كعلمه من باقي الجهات لا من جهة اصل معنى اللفظة، فنفي الاشتراك في اصل المعنى نفي للمعنى، ونفي مطلق المعاني نفي للوجود مطلقاً، فعاد ربهم عدماً.

هذا التشبيه الواجب سبب وجوبه أنه شرط الوجود، ثم أنه شرط الوجوب، بمعنى هل يكون الإله علة تامة كافية لخلق الخلق إن لم يكن عليما ؟ لا ، أو حكيما؟ لا ، أو غنياً؟ لا ، أو سميعاً بصيرا؟ لا

إذن هذه الصفات شرط عقلاً ليصلح كعلة قادرة على خلق الكون ، لأنه لو انعدم واحد منها لكان الإله عاجزاً عن الاستقلال والقيومية بذاته في خلق الكون .

(2) التشبيه الحرام

هو قسمان :

1- الحرمة الاصلية

2- الحرمة الاحترازية

التشبيه الحرام لعلة أصلية، فهو التشبيه الذي يجعل الإله مشابهاً للخلق مشابهة غير تلك الضرورية لجعله موجوداً وغير تلك الضرورية لجعله واجباً، ثم هو التشبيه بالصفة

الداخلة في أصل ماهية المخلوق ؛ وكذا التشبيه بالصفة التي تحط في أصلها من قدر الأدنى، فالأعلى من باب أولى .

مثال على الصفة الداخلة في أصل ماهية المخلوق كاللحم ، فاللحم داخل في ماهية تعريف الإنسان :

1- ليس واجباً لوجود الموجود، فيمكن أن يكون هاهنا موجود ثم هو ليس بلحم.
2- ليس واجب لإعطاء صفة الوجوب لله، أي ليس شرطاً ليكون الله قادراً على الاستقلال في خلق الكون عن غيره بخلاف العلم الكامل مثلاً.
3- داخلٌ في أصل ماهية تعريف البشر، فالبشر لن يكون بشراً إن لم يكن لحماً ودماً، بل سنتقلب ماهيته.

والخشب، لا تكون الشجرة شجرة إن لم تكن خشباً؛ وكالعضلات، لا تكون العضلات عضلات إلا إن كانت لحماً، واللحم داخلُ في ماهية تعريف أحد الموجودات المخلوقة.

وبناءاً عليه :

- الصفة الداخلة في اصل ماهية وجود الموجود المخلوق، يحرم وصف الله بها مطلقاً وتحت أي ظرف، ولا تجدي معها كلمة (يليق بجلاله)، إذ يكون قد شابه المخلوق في أصل ماهيته، ووقتها سينشأ السؤال " لما افتقر ذو اللحم والدم الذي هو الإنسان لعلة توجده ولم يفتقر ذو اللحم والدم الثاني الذي هو الله لعلة توجده؟" ووقتها نكون قد فرقنا بين مثلين.
بخلاف العلم ، فيصح أن يكون إنسان ويبقى إنساناً وإن لم يكن عليماً.

أما اليد ، فيصح أن تبقى إنساناً ولو لم تكن لك يد، فهذا غير داخل في ماهية تعريف الإنسان، لذا فلولا أن الله أخبرنا أن له يد لقلنا بحرمة وصفه باليد احترازاً لا أصالة، فاليد حرمتها احترازية.

بمعنى اننا لا نستحل عقلاًوصف الله إلا بما يوجب منع تسلسل العلل، ثم نمنع أي صفة أخرى إما لكونها حرامٌ أصالةً أو احترازاً واحتياطاً وجرياناً على الأصل، فالأصل هو :

لا تصف الله قط، قلت لا تصفه أبداً عقلاً إلا بما لا ينقطع التسلسل إلا به ، كالوجود والعلم والحياة والقدرة والغنى والقوة والحكمة ، فإذا فعلت ذلك أغلق الباب أمام أي وصف، قلت أي وصف احترازاً واحتياطاً عن أن تشبه الله بخلقه بعلم أو بغير علم، بقصد أو بغير قصد.

ثم لا نفتح الباب بعد ذلك إلا بالقدر الذي يأذن به الوحي ثم نغلقه مباشرة مجدداً، فلما أذن لنا أن نضيف لهذه الصفات صفة اليد قبلناها وأغلقنا الباب مباشرة.

ومثال للصفة التي تحط من قدر المخلوق فضلاً عن الخالق، فالذيل، فقد اتفق العقلاء على دونية وانحطاط من له ذيل، ولما ثبتت العظمة للخالق عقلاً وأنه أعظم منا، كان أولى بأن لا يوصف به لأن الأدنى منه في العظمة لم يوصف به.

فإن قيل :

"يمكنني تصور عظيماً وله ذيل"

قلنا :

فلماذا تجد من نفسك عدم صحة اجتماعهما ؟ ألست بعظيم ؟ فلو قلنا عنك يا زيدٌ يا صاحب الذيل ، فهل تراك تغضب؟ لماذا تغضب والذيل لا يحط من العظمة؟

أخيراً:

كان يمكننا بسهولة أن نهرب كما هرب النصارى ، فتجد القديس يوحنا فم الذهب يعتبر كل صفات الأعيان (الوجه اليد القدم) الواردة في العهدين معناها القدرة ، وكما يحولون نصوص سفر نشيد الأنشاد لمجاز هروباً من معناها القبيح بدون قرينة لغوية.

وكان يمكننا أن نهرب بسهولة كما يهرب الاشاعرة فيحولون الألفاظ لمجاز مهما عارضت اللغة ذلك.

وكان يمكننا أن نهرب بسهولة كما هرب المفوضة الذين يفرغون اللفظة من معناها ويبقونها بلا معنى معروف..

كان يمكننا أن نبلع التناقض بسهولة ، كما بلعه اليهود والنصارى والأشاعرة والمفوضة، فكلهم يقول الله موجود وليس بأبعاض رغم أن هذا تناقض عقلي، أنا أتعجب لماذا لا يقبلون اليد والوجه بنفس الطريقة ؟ ألستم ايها المتناقضون تقولون " رغم أننا لا نعلم موجوداً في الحس ولا في الخيال إلا وهو مبعض، لكننا سنقول الله موجود وليس بمبعض"؛ لماذا لا تبلعون أيضاً العبارة التالية " رغم اننا لا نعلم ذا يدٍ إلا وهو مبعض إلا اننا سنقول أن ذو اليد الأول له يدٌ وهو غير مبعض" ؟ لماذا بلعتم التناقض الأول ورفضتم التناقض الثاني ؟

لكننا نحترم عقولنا واللغة ، ولا نبلع التناقض أبداً.

استثارة لإيمان كل مؤمن

طابت نفسك أن تزور 500 نص في القرآن والسنة بما يناقض اللغة ويسمى تخديراً للعقل باسم المجاز أو تفرغها من معناها وتحولها إلى برررم ؟

طابت نفسك أن تتهم الله ورسوله بأنهما يصفان الله بما ظاهره الكفر 500 مرة ؟

هل تتجرأ أنت أن تصف الله بلفظة واحدة تحتمل معنيان المعنى الأظهر فيهما هو كفر؟!! فكيف لو فعلتها 500 مرة ؟

إذا أعجبك علم الهذيان المسمى بعلم الكلام فانظر فلربما أعجبك لكونه يجعلك مميزاً وجذاباً لأنظار الشباب والفتيات فتشعر بقدرك على السوشيال ميديا، يمكنك إرضاء غرورك وإشباع تميزك وتجذب أنظار الشباب والشابات أيضاً لو استعملت ذكاءك في صالح نصوص الوحيين لا في صالح تحريفها المسمى تخديراً بالمجاز.

وإلا فالأصل أن المقصد هو الله، اللهم أحسن نياتنا واقوالنا وأفعالنا .

-

الخلاصـــــــــــــــة:-

-1ليس الله بجسم.

-2ليس الله بأجزاء.

-3لله صفات أعيان تفسر بالقدر المشترك بين اللغة والشرع، بلا جمع أو منع.

-4لله وجه لا كوجوهنا كما أن له علم لا كعلمنا.

5-التحويل لمجاز بمخالفة للغة تحريف.

6-إفراغ اللفظة من معناها تعطيل وهروب.

7-نفي صفات الأعيان عن الله نفي لوجوده ، ونفي لصفاته ، ويلزم منه بلع اجتماع النقيضين بالغصة.

8-اللهم براءة من كل تشبيه أو تمثيل أو تكييف أو تعطيل، اللهم غفراً غفراً.